ISSN 2735-4822 (Online) \ ISSN 2735-4814 (print)

Phrase Argumentative in Praise Speech at Al-Bohtiry (The Affirmative as a pattern)

Zahra Ali Jummah Eizaddein, Hassan Ahmed Al-Bandari, Alaa Abdelghafar Hilal

Arabic Department Faculty of Women for Arts, Science & Education - Ain Shams University - Egypt

Zahraali01984@gmail.com

Article History

Receive Date: 11 January2023, Revise Date: 6 February 2023 Accept Date: 15 February 2023.

DOI: https://doi.org/10.21608/buhuth.2023.186589.1452

Volume 3 Issue 1 (2023) Pp.160-175

Abstract

This research cares for revealing for Phrase argumentative in praise speech at Al-Bohtiry , by using Affirmative mechanism , according to practicing poet for argumentation against the opponents of the praises , through this ; the text practice its argumentation on its readers definitely . al-Bohtiry as his characteristic is an author of the text , he is running his text of speech ; he is well aware for rage of need of his text's receiver for the affirmed Phrase. also he knows when does he come with Phrases be devoid of affirmative ; the one who imposed Affirmative is the need of receiver for that ; and the need of al-Bohtiry also for appearing characteristics of his praises in the text which he is seen it suitable for context of praise . This means that Affirmative is a basic thing in praise be imposed by need of the two parties (Sender and Receiver). most important results are been reached by the research are as follows :Affirmative mechanism at Hagag Al-Bohtiry poetry is running for approving characteristics of the praise ; for example such as Kindness , Generosity , and Justice. Affirmative in Al-Bohtiry Speech is reported for approving issues related to the praise , including proving his eligibility in succession .Affirmative mechanism at Hagag Al-Bohtiry is running to show the value of praise between peoples , also for related of the poet relation with them for proving meanings include ; friendship.

***Keywords*:** Argumenation– Affirmation –praise – albohtiry

حجاجية الخبر في خطاب المدح عند البحتري

(التوكيد أنموذجا)

زهرة علي جمعة عزالدين

باحثة دكتوراة_ قسم اللغة العربية وآدابها

كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس

Zahraali01984@gmail.com

أ.د/ حسن أحمد البنداري

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي قسم اللغة العربية كلية البنات جامعة عين شمس، مصر

Hassan.AhmedELBendary@Women.asu.edu.eg

أ.م. د/ آلاء عبد الغفار هلال

أستاذ مساعد البلاغة والنقد الأدبي قسم اللغة العربية_كلية البنات جامعة عين شمس، مصر

Alaa.Abdelghafar@Woman.asu.edu.eg

المستخلص:

وفقا لممارسة الشاعر حجاجه على خصوم ممدوحيه، ومن خلال ذلك يمارس النص حجاجه على قارئيه بلا ريب، فالبحتري بوصفه صاحب الخطاب، هو من يدير نصه، ويدرك جيدا مدى حاجة متلقي نصه للأخبار المؤكدة، ويعرف متى يأتي بأخباره مجردة عن التأكيد، فالذي فرض التوكيد هو حاجة المتلقي الى ذلك، وحاجة البحتري أيضا إلى إظهار صفات ممدوحيه بالصيغة التي يراها تتلاءم مع مقام المدح، وهذا يعني أن التوكيد شيء أساسي في النص فرضه احتياج الطرفين (المرسل، والمرسل إليه)، ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحثُ أن آلية التوكيد وُظفت في حجاج البحتري؛ لقصد إثبات صفات الممدوح، مثل: الجود، والكرم، والعدل، كما ورد التوكيد في خطاب البحتري؛ لإثبات قضايا تتعلق بالممدوح، ومنها: إثبات أحقيته في الخلافة، ولبيان قدر الممدوح بين الناس، وأيضا فيما يتعلق بعلاقة الشاعر معهم، لإثبات معانٍ، منها الصداقة.

الكلمات المفتاحية: الحجاج _ التوكيد_ المدح _ البحتري.

مقدمة

يتحقق التواصل بين طرفي العملية التخاطبية (المرسل، والمرسل إليه) بإلقاء خبر له، ومعيار معرفة مدى صدق الخبر بالنظر إلى واقع الخطاب أو ما يحيل إليه، ولما كان الخطاب الشعري خطابا تخيّليا خاضعا لمجريات التجربة الشعرية، كان قياس صدقه من عدمه يفرضه وعي المخاطَب بالممكن والمحتمل، والبحتري هو من يدير نصه حينما يعمد إلى التوكيد من عدمه، فحينما ينظم أبياته يكون المتلقي حاضرا في ذهنه، وكذلك حينما يقدمها شفاهة أو كتابة لا يراعي حال مخاطبه فحسب؛ وإنما السياق أيضا، ومن هنا عنيت بالكشف عن حجاجية آلية التوكيد، والبحث عن قيمتها البلاغية في بنية خطاب المدح عند البحتري، ومعرفة ما إذا كانت هذه البنية منسجمة، ومتسقة على مستوى الخطاب أي: تتماهى مع الممدوح أو المخاطب الأصلي أو لا، وسيقود ذلك إلى الكشف عن سلطة نص البحتري على متلقيه من خلال اختياره للأخبار المؤكدة، ودرجة تأكيدها، والأخبار الخالية من التأكيدات، والمتلقي في العملية الحجاجية هو محور الحجاج، وعليه تتوقف قوته.

وبناء على ما قدمه بيرلمان وتيتيكا من مفهوم حول البلاغة الجديدة، والذي يمثل الحجاج عنصرا بنائيا فيها، إذ يتمثل في بعض الآليات أو التقنيات أو الأساليب البلاغية، فوجود أي حجاج في النص يتوقف على وعي القارئ بهذه المحصلة البنائية، وافتراض **الدراسة** وجود الحجاج في نص البحتري افتراض مسبق أو مسلم به، لكن هذه القراءة الحجاجية تفرضها الظروف الاجتماعية التي أنتج فيها النص، وموسومة بحيثيات سياقية معينة، كقصد المدح، والممدوح، ومؤيدي الممدوح، ومعارضيه، ولذلك فالشاعر يستخرج أفضل ماعنده؛ ليخرج الممدوح أفضل مما يتصوره كلا الطرفين، فقد كان خطاب المدح للبحتري في الأغلب لمدح شخصيات مرموقة في الدولة، ومما لاشك فيه أن لهم خصوما، وبالتالي ستكون صفاتهم محل نزاع وشك من قبل الخصوم، وأكثر القضايا التي يخاصم لأجلها هي قضية العطاء، ويبدو أن هذا هو سبب إكثاره من الأخبار المؤكدة في خطابه كما سيأتي، فقد استعان الشاعر بالتوكيد بوصفه آلية إقناعية، وتأثيرية تدفع المتلقين إلى التسليم بمصداقية الخبر، كما **يهدف** هذا البحث إلى قياس فاعلية الحجاج بآلية التوكيد، ومدى قدرتها على إقناع المتلقي، وما مدى سلطة الشاعر في إنزال مخاطبيه المنزلة التي يريدها.

وقد اتّبعتُ في هذا البحث **المنهج الوصفي** في ضوء التحليل البلاغي الحجاجي لعدد من النصوص التي وظفت آلية التوكيد الحجاجية في خطاب المدح عند البحتري، للكشف عن دورها الحجاجي، وطاقاتها التأثيرية الإقناعية.

هيكلية البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة، ومدخل، ومبحثين، وخاتمة.

- المقدمة: وعرفت فيها الموضوع وأهميته، وأسباب اختياره، وهدفه، ومنهجه، وخطته.
- المدخل: تناولت فيه الكلمات المفتاحية، تعريف الحجاج لغة واصطلاحا، والتعرف على الخبر وحجاجيته، والتقنيات الحجاجية الموجودة فيه، وكيفية حمل الشاعر أوالمتكلم مخاطبيه على الإقناع، ثم انتقلت إلى فكرة ادّعاء وجود الحجاج في نص البحتري، وبيّنت العلاقة بين عمليتي المدح والحجاج، وكيف مارس البحتري الحجاج في نصه.
- المبحث الأول: حجاجية آلية التوكيد في خطاب البحتري.
- المبحث الثاني: المقاصد الحجاجية التي حاجّ لها الشاعر بآلية التوكيد.
- الخاتمة: وسردت فيها ما بدا لي من نتائج تخص قراءتي الحجاجية.

المدخل

الحجاج لغة: تدل كلمة الحجاج على المشاركة، والتفاعل بين ذاتين، فهذا الفعل أو الحدث يقتضي المفاعلة، ويفيد الحجاج المعاني الآتية:

- التفاعل بين شخصين، كون أن حدث الحجاج يحصل بين ذاتين فهو حدث بيني.
- الدليل، والطريق الواضح المستَدل بالدليل، ليثبت أحد الطرفين صدق دعواه للطرف الآخر، مما يستلزم تأثير صاحب الحجة على متلقيه.
- الجدل بجامع المخاصمة والنزاع.
- القصد، بالحجة يحدد المتكلم قصده.
- النزاع والتخاصم بالأدلة والبراهين.
- الغلبة والظفر عند الخصومة. **(الفراهيدي، ٢٠٠٧، ص٩_ ابن فارس، ١٩٨٩م، ص٢٩_، ابن منظور، ١٩٩٣م، مادة حجج).**

تقودنا هذه االمعاني إلى تكوين مفهوم مبدئي للحجاج، في كونه: فعلا تخاطبيا، يقوم على ثلاثة أطراف أساسية: (المحاجِج، الحجة، المحاجَج)، يقوم فيه الطرف الأول المحاجِج بتوجيه كلامه بقصد ما، ويدعّم هذا المعنى الذي غالبا يكون عليه النزاع والخصومة بالأدلة والبراهين، للظفر والغلبة أمام الخصم (المحاجَج)، بجعله يقتنع برأيه ويستسلم له، فنفهم من ذلك أن الحجاج هو خطاب موجه لقصدٍ جوهره الإقناع.

الحجاج في الاصطلاح: أعيد تأسيس الدراسات الحجاجية في النصف الثاني من القرن العشرين على يد بيرلمان وتيتيكا،[١] وديكرو[٢] في السبعينيات، **(منغنو، شارودو؛ ٢٠٠٨م، ص٦٨)**، وقد وردت تعريفات كثيرة للحجاج عند بيرلمان (ch.perleman)، وتيتيكا (tyteca)، منها قولهما: "الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم، بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"، **(منغنو، شارودو، ٢٠٠٨م، ص٦٨)** وقالا في موضع آخر، إن الحجاج هو: "دراسة التقنيات الخطابية التي من شأنها إحداث أو زيادة موافقة الآخرين على الأطروحات المقدمة إليهم بقصد قبولها". **(الدهري؛ ٢٠١٠م، ص٦ ،٧).**

ويقصد بالتقنيات الخطابية: الأساليب البلاغية أو التراكيب اللغوية التي يعتمدها الشاعر في نصه، بوصفها السبيل المؤدي إلى الحجاج، وهي الآليات التي توفر الطاقة الحجاجية للغة، المسؤولة عن

---

[١] يعد الفيلسوف البلجيكي شاييم بيرلمان من أوائل من استخدم مصطلح البلاغة الجديدة رفقة عالمة السوسيولوجيا لوسي أولبرخت_ تيتيكا، وهو رائد نظرية الحجاج في النصف الثاني من القرن العشرين، بعد ركوده مدة طويلة من خلال مؤلفه (مصنف في الحجاج_ البلاغة الجديدة)، الذي شاركته في إنجازه وزميلته لوسي أولبرخت_ تيتيكا سنة ١٩٥٨م.(أمقران، ص٢٢٣، ٢٠١٨م).

[٢] أوزفالد ديكرو (Oswald Ducrot) ولد عام ١٩٣٠م، عالم تداولي فرنسي، بيّن باشتغاله على الحجاج أن قيمة الملفوظ الحجاجية لا تتجاوز فقط محتواه الإخباري؛ بل إن تلك القيمة هي التي تحدد محتواه الإخباري لا العكس، له مؤلفات ترجم إلى العربية منها: القول ولمقول، والقاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. (بلانشيه، ٢٠٠٧م، ص١٦٣).

الإثارة والتأثير في نفس المتلقي، والتي تفتح بابا للتأويل، فتعطي للكلمات أبعادا حجاجية جديدة تشكلها الذات المتكلمة والمتلقية. **(بوزناشة؛ ٢٠١٦م، ص١١٠).**

والغاية من الحجاج وفقا لرؤيتهما هو التوجه للعقل؛ لغرض إذعانه، وجعله يقبل ما يُعرض عليه، "جعل العقول تذعن وتسلم لما يطرح عليها من الأقوال، أو زيادة درجة ذلك الإذعان تقوى لدى السامعين بشكل يبعثهم على عمل المطلوب". **(صولة ٢٠٠٧م، ص١٣_ بوزناشة، ٢٠١٦م، ص١١)**، ثم أخذ الحجاج منحى جديدا عمّا قبله، عندما قدم أوزفالد ديكرو (Oswald Ducrot) نظريته الجديدة التي وضع أسسها ١٩٧٣م، وقد حصر ديكرو الحجاج في اللغة، إذ تتسم الحجج اللغوية بالسياقية، فالسياق هو الذي يعطيها الخصوصية الحجاجية، والنسبية من حيث قوتها وضعفها، وقابليتها للرفض والقبول من قبل المتلقي. **(العزاوي، ٢٠٠٦م، ص١٦).**

فالحجاج هو (خطاب موجه بقصد التأثير والإقناع، وآلياته هي التقنيات البلاغية، إذن: في كل خطاب حجاج، والحجاج هو مكون من مكونات الخطاب).

الخبر:

الخبر لغة: النبأ، وجمعه أخبار **(الفيروزآبادي، ٢٠٠٩م، ص٣٨٢)**، ولكن بحسب القرآن بينهما عموم وخصوص، فكل نبأ خبر، وليس كل خبر نبأ، إذ النبأ: الخبر اليقين، يقول _تبارك وتعالى_ في كتابه العزيز: {عَمَّ يَتَسَآلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ} النبأ:١، أو من المفترض أن يكون خبرًا يقينيا كقوله تعالى:{إِن جَآءَكُم فَاسِقٌ بِنَإٍ فَتَبَيَّنُوا} الحجرات:٦، وأن الخبر يجوز أن يكون بما يعلمه المخبر وبما لا يعلمه، ولكن النبأ لا يكون إلا بما لا يعلمه المخبر. **(العسكري، ١٩٩١م، ص٣٣).**

وفي الاصطلاح: هو كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته، بغض النظر عن خصوص المخبر، أو خصوص الخبر، وإنما ينظر في احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله، وذلك لتدخل الأخبار الواجبة الصدق كأخبار الله _ تعالى _ ، وأخبار رسله _عليهم السلام_، والبديهات المألوفة كالأرض تحتنا، والنار محرقة، ولتدخل الأخبار الواجب كذبها كأخبار المتنبئين في دعوى النبوة، والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع، والمراد بكذبه عدم مطابقته للواقع. **(المراغي، د ت، ص٤٣).**

تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية في مباحث علم المعاني، ضمن أسلوبي (الخبر والإنشاء)، والتي دُرست من قبل النحويين والبلاغيين والأصوليين، وتكمن أهمية الأسلوبين حجاجيا وتداوليا في خروج الكلام عن معناه الأصلي، أو الخروج عن مقتضى الظاهر إلى معانٍ أخرى، حسب ما يقتضيه السياق، ومقاصد المتكلمين، أو ما يُعرف في نظرية أفعال الكلام بالقوة الإنجازية الحرفية، والقوة الإنجازية غير الحرفية، وقد تتبع العلماء وجود ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي، وبيّنوا أصولها، وكيف انبرى النقاد لدراسة هذه الظاهرة اللغوية، وأكّدوا أنها من صميم الدراسة التداولية، وميّزوا بين الأفعال الكلامية المباشرة، والأفعال الكلامية غير المباشرة بحسب تعبير سيرل. **(صحراوي، ٢٠٠٥م، ص٥٠).**

وانشغل الدارسون بعد ذلك بالمعتقدات، والخلفيات المشتركة بين المتخاطبين، وتناولوا المفهومات الجامعة في الخطاب كالمقتضى والضمني والمضمر، إذ لم يعد المخاطب يتوصل إلى الاقتضاءات من خلال المكونات اللسانية فحسب؛ بل صار يتوصل إليها من خلال المعارف والحقائق التي يشترك فيها مع متكلميه، ولم يعد المتكلم يعتمد على القول وحده في إضمار ما يريد إضماره من مقتضيات، وإنما صار هذا الإضمار الاقتضائي يرتبط بوجود رصيد معرفي بين المتخاطبين. **(الزماني، ٢٠١٨م،ص٤٠).**

ومن منظور آخر اهتم سيرل (Searle)[1] بالحجاج من خلال حديثه عن القصد (Intention) والمواضعة (convintion)؛ ذلك لأن الأفعال الأدائية تحمل في جوهرها حجة أو إثباتا مرهونة بقصد المتكلم **(حسيني، وصحراوي، ٢٠١٥م، ص٢٢٣، ٢٢٤)**؛ ليميز بين المحتوى القضوي المتعلق بالمضمون، ويقدم أوستين[2](Austin) ثلاثة معايير لتحديده، الأول: فعل ينجز في الكلام ذاته، وليس له نتيجة تنتظر، الثاني: يفسر بصيغة إنشائية تفصح عنه، مثل أطلب، أعد، آمر، الثالث: ذو طبيعة تواضعية اصطلاحية، **(فوزية، ٢٠١٤م، ص٢٤٨)**، والقوة الإنجازية بالفعل، التي تتعلق بالعمل في حد ذاته، **(حسيني، وصحراوي، ٢٠١٥م، ص ٢٢٣، ٢٢٤)**، فكل قول مفيد يتضمن أمرين: أولهما مضمونه القضوي وهو حاصل احتساب العلاقة بين وحداته المعجمية، ومعانيها المرجعية الإحالية، وثانيهما قوته المضمنة في القول، وتمثل في العمل اللغوي (إخبار أو استخبار أو أمر أو غيرها)، **(ميغري، ٢٠١٥م، ص٧٨)** وقد أعاد سيرل تصنيف الأفعال اللغوية على حسب عدد من المعايير، فبلغت خمسة أصناف: (الأفعال التقريرية أو التأكيدية، والأفعال التوجيهية، والأفعال التعبيرية، والأفعال التصريحية). **(الطبطبائي، ١٩٩٤م، ص٣٣، ٣٤).**

والحجاج يستند على الأفعال الكلامية للتأثير في المتلقي، وللأفعال الكلامية وظائف تداولية مرتبطة بقصد المخاطب، من أهمها وظيفته الحجاجية التي تزيد من فاعليته الإنجازية، ولا سيما تلك المرتبطة بوظيفتين: التأثير، والإقناع، فقد تتفق القوة المضمنة مع المحتوى القضوي، وقد يطرد ويحصل لبس بينهما؛ ولذلك عمدوا أصحاب نظرية الأفعال اللغوية إلى إقحام اعتبارات مقامية ومقالية، وأدى ذلك إلى تفريقهم بين الإنشاءات الصريحة، وغير الصريحة.

فكيف مارس البحتري[3] الأسلوب الخبري بالتوكيد بوصفه آلية حجاج؟، أو كيف حاجّ البحتري بآلية التوكيد لإقناع ممدوحيه، وقارئي نصه بالمعاني التي يريد إثباتها؟.

_ خطاب المدح عند البحتري

ولما كانت حقيقة الخطاب مبنية على قصدين وهما: (قصد الادّعاء)، و(قصد الاعتراض)، **(عبدالرحمن، ١٩٩٨م، ص٢١٣، ٢١٤)**، والحجاج مبني على أربعة عناصر أساسية، وهي: خطاب موجه، وادّعاء، واعتراض، ثم حجة **(عبدالرحمن، ١٩٩٨م، ص١٣٧)**، إذن: الحجاج أصل في الخطاب، والعلاقة الاستدلالية علاقة إلزامية في كل خطاب، فلابد من وجود ادّعاء واعتراض بين طرفي الخطاب، والتوجه إلى الغير لازم من لوازم الادّعاء، كما أن الفهم لازم من لوازم الاعتراض، وأنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها، **(عبدالرحمن، ١٩٩٨م، ص٢٢٦)**، وبالتالي يمكن تحقيق هذا الأمر في خطاب البحتري، ومن هنا

---

[1] أوستينAustin أستاذ الفلسفة بجامعة أكسفورد، ولد سنة (١٩١١_١٩٣٢) ، وأول من بعث نظرية الأعمال اللغوية، بلانشيه؛ ٢٠٠٧م، ص٢٠).

[2] كان سورلSearle المولود سنة (١٩٣٢) يدرس بجامعة بركلي بكاليفورنيا، وقد وضع أوستين وتلميذه سورل نواة التداولية في حقل فلسفة اللغة العادية، إذ طورا من وجهة نظر المنطق التحليلي مفهوم العمل اللغوي، (بلانشيه؛ ٢٠٠٧م، ص٢٠).

[3] الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد الطائي البحتري المنبجي، ويكنى بأبي عبادة. وولد سنة (٢٠٦هـ) في قرية منبج، يعود أصله إلى بحتر، وكان عربي الأصل، طائي الأب، وشيباني الأم، خالص العروبة، حيث ترعرع في بادية منبج، وكان أهلها كلهم من العرب، وكان مرنا ذكيا مع الخلفاء. (البغدادي، ٢٠٠٢ م ج١٥/ص٦٢٠_ ابن خلكان ١٩٩٤ – ج٦/ ص٢١).

عنيت بأن يدرك القارئ أطراف التواصل في خطابه الذي بمعرض دراسته؛ ليتمكن من فهم عمليته الحجاجية، فخطاب البحتري بوصفه خطابا تواصليا يتكون من ثلاثة أطراف، متكلم (مرسل)، ومتلقي، ورسالة أو نص، تتوفر فيه عناصر الحجاج، أهم عناصر الحجاج في الإخبار، هي:

- خبر عن العالم يمثل إشكالا بالنسبة إلى شخص ما من حيث مشروعيته، والخبر هنا في الخطاب المدحي المتمثل في الصفات التي يريد البحتري أن يثبتها لممدوحه.
- وفاعل يلتزم بهذه الإشكالية، وينشئ برهنة؛ لمحاولة تأسيس حقيقة (سواء كانت خاصة أم كونية وسواء أتعلق الأمر بمجرد مقبولية أو بمشروعية ما) لهذا الخبر، والفاعل هنا هو البحتري الذي يبرهن لإثبات هذه الصفات ليُقنع بها المتلقي.
- وفاعل آخر مهتم بالخبر نفسه، ويمثل عنده إشكالية أو حقيقة، وهو الذي يمثل هدف الحجاج، بحيث يتوجه إليه المحاجّ على أمل استدراجه نحو مقاسمته الحقيقة نفسها، وبإمكانه قبول الحجاج أو رفضه، وهو المتلقي، وسمِّيَ فاعلا؛ لأنه هو من فعّل الحوار باعتراضه، ويبدو أن متلقي نص البحتري هم الخصوم الذين اعترضوا على صفات الممدوح. (شارودو،٢٠٠٩م، ص١٣)

إن فكرة ادّعاء وجود الحجاج في نص البحتري، سببه نابع من فكرة المدح بأن الشاعر بحاجة إلى أن يثبت في حجاجه معاني تخص ممدوحه، وبالتالي يقتضي إثبات ادّعاء معنى معين له؛ للظفر بإقناع مخاطَبيه، من خلال استعطافهم والتأثير فيهم، **(بليت؛ ١٩٩٩م، ص٢٦)**، والحجاج يحمل في حقيقته معنى القصد والعودة، عودة المتكلم للمعنى الذي يريد إيصاله حجاجا، كذلك الشاعر عندما يمارس المدح في خطابه هو يصف الممدوح بمعانٍ متكررة؛ لتمكينها في ذهن المتلقي وإقناعه، وبالتالي تُنتج الرضا في نفس الممدوح، فيكسب العطايا، وما يهم القارئ والناقد هو النص لا العطايا، وبالتالي يكون الشاعر بنصه أصاب غرضين، وهما: الشخصية الممدوحة وإرضائها، كما أتاح للراوي أو السامع أو القارئ من بعد أن قدم لهم نصا جاهزا للنقد، وسأبين ذلك في هذه الترسيمة:

الممدوح

البحتري ⇦ (النص ...الحجاج) ⇦ المتلقي.... المعنى.

آلية التوكيد

التوكيد لغة: من توكيد العقد والعهد أي: توثيقه، والهمز فيه لغة. يقال: أَوْكَدْتُه وأَكَّدْتُه وآكَدْتُه إيكاداً، وبالواو أَفصح، أَي شَدَدْتُه، وتَوَكَّدَ الأَمر وتأَكَّدَ بمعنًى، والتوكيد دخل للكلام لإزالة الشك، **(ابن منظور، ١٩٩٣م، مادة وكد).**

اصطلاحا: يعمل التوكيد على "تثبيت الشيء في نفس المخاطب، وإزالة ما علق بها من شكوك، وإماطة ما خالجها من شبهات"، **(صحراوي، ٢٠٠٥م، ص٢٠٥)**، وفعلُ التوكيد حسب سيرل (Searle) هو فعل كلامي مندرج ضمن التقريرات، والغرض المتضمن في القول يستخدمه المتكلم؛ لتثبيت الشيء في نفس المخاطَب، وإزالة ما علق بها من شكوك،**(صحراوي، ٢٠٠٥م، ص ٢٠٧، ٢٠٨)**، فأسلوب التوكيد في مجمله فعل كلامي إنجازي غير مباشر. **(شارودو، منغنو، ٢٠٠٩م، ص٢٣).**

وقد بيّن سيرل أن الإخبار الذي ينشئه مؤلف نص أدبي هو إخبار وهمي في الواقع لا يستجيب لأي شرط من شروط الحقيقة؛ بل لا يستوجب صدق المؤلف فهو إخبار متصنع (feinte)؛ (لكنه غير

كاذب)، وهو لا يعدو كونه تأكيدا تتعلق فيه المواضعات القولية العادية في إطار العقد الضمني بين المؤلف والقارئ؛ بل إن مرجع مدلول غير موجود خياليا، ومع ذلك لا يلغي ذلك صحة عملية التلفظ. **(بلانشيه، ٢٠٠٧م، ص١١٧).**

وبالنسبة إلى أوستين (Austin) لا تتعلق المسألة بمعرفة ما إذا كان محتوى الملفوظ صحيحا أم خاطئا، ولكنه يتعلق بمعرفة ما إذا تم تبرير فعل التلفظ، **(بلانشيه، ٢٠٠٧م، ص١١٩)**، والكتابة الأدبية أو الشعرية تلتحق بإطار التواصل، فهي تلفظ أو تلفظ مشارك، والقراءة تلفظ مشارك أو مكمل، حيث يحتل المسار التأويلي مكانا رئيسًا، فقد تجدّد التحليل النصي بشكل معمق، بما أنه لم يعد مقبولا البحث عما أراد الكاتب قوله، أو إنجاز تحليل مستفرغ لنص ما، أو تحديد المعنى الذي أراده النص، فما يمكن للقارئ القيام به هو تعليل الدلالة أو الدلالات، التي تبنيها الاستدلالات أو القرائن بوصفه متقبلا للنص.**(بلانشيه، ٢٠٠٧م،ص١٩٤).**

المبحث الأول: حجاجية آلية التوكيد في نص البحتري

لجأ البحتري إلى التوكيد، واستعان به في الأسلوب الخبري بوصفه عاملا حجاجيا؛ لأنه يعمل على دفع الشك والإنكار عن المتلقي، وتتمثل حجاجية التوكيد في تقديم القضايا للمتلقي، وفرضها عليه، عندما يوجه القول نحو النتيجة التي يريد المتكلم من المتلقي الوصول إليها، وهذا يتناسب مع طبيعة المدح، فالشاعر بحاجة إلى أن يقنع متلقي نصه بصفات ممدوحيه، وأعمالهم التي ينسبها إليهم، والتوكيد يطلق على معنيين: أحدهما التقرير، أي جعل الشيء مقرّرا ثابتا في ذهن المخاطب، وثانيهما اللفظ المؤكّد الذي يقرّر به، **(التهانوي؛ ١٩٩٦م، ص٣٧٢)**، وهو ما قصدوه بقولهم التأكيد "لفظ يفيد تقوية ما يفيده لفظ آخر". **(التهانوي؛ ١٩٩٦م، ص٣٧٢).**

والجملة الخبرية في أصلها خبر ابتدائي، وأصل الخبر في صورته الابتدائية خال من أي تأكيدات، وإضافة لفظ إلى ألفاظ الجملة الأصلية أو حذفه تؤدي ظاهرة نوعية في الدلالة، فإذا زيد عليه مؤكد بتأثير المقام أو لخلق مقام ما، فستكون هذه الزيادة لإفادة معنى زائد على المعنى الأصلي، ويسمي هذه الإجراء عدولا كميا بالزيادة، وإذا نُقص منه لفظ أيضا بفعل المقام أو لصنع مقام لفائدة معنوية سمّي عدولا كميا بالنقصان، وهذا العدول لأجل مطابقة الكلام للمقام، أو محاولة للتأثير في المقام بفضل ما تنتجه خصيصة العدول تلك من طاقة حجاجية، مما يصنع التفاعل بين المتكلم والمتلقي. **(صولة، ٢٠٠٧م، ص١١٣_١١٦).**

والعدول بالخبر من الصيغة الابتدائية إلى صيغة الإنكار، فيه حمل المتلقي من حالة إلى حالة أخرى مناسبة، من حالة خلو الذهن إلى دفع الإنكار حسب ما يفرضه مقام التخاطب، أو الاعتبارات الخطابية كما يسميها السكاكي، **(السكاكي، ١٩٨٧م. ص٢١٥)**، وبذلك لا يصح أن نعد الزيادة عدول من جهة المقام؛ وإنما هي عدول بالقياس إلى الجملة، وهي مجردة من التوكيد. **(صولة، ٢٠٠٧م، ص٢٦٨).**

يقوم الحجاج بهذا التصور على: صريح، وضمني، ويكون قائما على أساس الحوار بين الأطراف، فيكون نصفه للمتكلم الصريح، ونصفه للسامع الضمني، فثمة شارات حجاجية تدل على وجود المعنى الضمني مع المقام، وتكون النتيجة مقنعة أو غير مقنعة، والحجة ما هي إلا استنتاجات المتلقي لأسئلة ضمنية. **(صولة، ٢٠٠٧م، ص٣٧).**

والشارات الحجاجية تستدعي المعنى الضمني، وتومئ إلى النتيجة، وتدفع إلى استنتاجها، وما يعنينا من هذه الشارات في الأسلوب الخبري التوكيدات، وهي:(أن، وإن، وإن مع لام الابتداء، والقسم،

وأسلوب القصر، والبدل، والعطف، ...)، إذ تفيد علامات التوكيد بعدا حجاجيا، وتجعل الخبر بدخولها عليه ذا بعد حواري تفاعلي، فهي دليل على وجود خصومة، وتناحر، وصراع، **(صولة، ٢٠٠٧، ص٢٦٠)**، فكل تلفّظ صريح يحمل معنى ضمني، وكل دلالة ينشأ لها نصيب الضمني كما لها في التصريح، فإن غاب الضمني امتنع التواصل.**(بلانشيه،٢٠٠٧م، ص١٤٥).**

وقد اشتمل خطاب البحتري على العديد من الأخبار المؤكدة، فهل كان حجاجه مراعيا حال المخاطبين؟ ولمعرفة ذلك سيكشف البحث ممارسة التوكيد الحجاجية من خلال ما سيأتي:

أولا_ يوجه الشاعر خطابه لسامعي نصه، ومنهم خصوم الممدوح ومعارضيه، ويسوق لهم الأخبار مؤكدة، دلالة على أن هناك أمر مُدّعى مُختلف عليه، ويريد الشاعر إثبات أنه عكس ما استقر في أذهانهم، أو إنكار لأمر قائم يخص الممدوح، ويحاجّ الشاعر لأجل إقناعهم به، فأساس الحجاج "يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه، مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا، قاصدا إقناع الآخر بصدق دعواه، والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"، **(العبد، ٢٠٠٢م، ص٤٤)**، كما في النص الذي يمدح به عبدالله بن داوود، يبدو أن الممدوح قد ولي الخراج بقنسرين كما يُفهم من النص، وأن اسمه عبد الله بن داوود، ويصف الشاعر نداه، ويشبّهه ببني العباس في كرمهم وعطائهم، وأنه يدبر أمور الخراج بحكمة، ويحاجّ البحتري الخصوم بالتأكيد؛ ليرد على ما ادّعوه، ويزيل شكوكهم حول ممدوحه، وكأنهم يدّعون أن الممدوح لم يكن أهلا للخراج، وأنه طامع في المال، ولا يحسن التدبير فيه، فأراد الشاعر أن يقطع أمامهم التفكير في هذه الأمور، ويعاملهم معاملة المخاطَب المنكر، بالخبر المؤكد، في قوله:

- إنَّ الخَراجَ بِقِنّسرينَ يَجمَعُهُ تَدبيرُ يَقظانَ يَدري كَيفَ يُحيِيهِ [1]

يقتضي الملفوظ قضية حتمية مسلّم بها، وهي أن الممدوح يجمع الخراج، أما القضية المشكوك فيها والتي يحاجّ لها الشاعر، هي: **صفة عمل الممدوح، بأنه يعمل بحكمة، وليس طمعا في المال،** وقد عدل الشاعر إلى التوكيد للدفاع عن الممدوح أمام خصومه، والرد عليهم؛ ليثبت لممدوحه النزاهة والعفة، وأن له مؤهلات جسدية وعقلية تمنحه هذا الحق، مما يقطع على الخصوم أي اعتراض، أو شك في أنه طامع في المنصب، أو أنه لا يحسن التدبير، وقد أفاد التوكيد تأخير لحظة اعتراض السامع على القضية التي يطرحها هذا المنطوق **(صولة، ٢٠٠٧م، ص٣٠٥)، والمفهوم من القول أو المعنى الضمني هو** أن الوالي لا يجمع الخراج عبثا، مما يؤدي إلى **المفهوم من اللاقول أو الإنجازي** أو النتيجة: إذن: صدقوا أنه إنسان حكيم ويستحق هذا المنصب، إذ يصوغ الشاعر ملفوظه على هيئة الخبر الطلبي، معتمدا على مفهوم دلالي محدد، من أجل الوصول إلى مفهوم لا قولي، فـ"التراكيب المؤكدة تحمل هذين الضربين من المفهوم، على أن المفهومين أحدهما بسبب من الآخر متين، إذ يؤدي المفهوم الدلالي الذي ينبغي أن يظهر أولا، إلى المفهوم اللاقولي الذي ينبغي أن يكون مواصلة له ضرورة".**(صولة، ٢٠٠٧م، ص٢٦٨).**

- ثانيا: يتعامل البحتري مع خصوم ممدوحيه بيقينية الخبر، فيلقي لهم أخبارا دون مؤكدات في مقام الإنكار، وينزل المنكرين منهم والمشككين منزلة الخالي الذهن، كما في وصفه للخليفة المعتز في قوله:

- حَدَثٌ يُوَقِّرُهُ الحِجى فَكَأَنَّهُ أَخَذَ الوَقارَ مِنَ المَشيبِ الشامِلِ **(الديوان١٩٦٣م، ص١٦٥٠)**

[1] الخراج: اسم لما يخرج من الفرائض، وما يؤخذ من أرض الصلح، (البحتري، ١٩٦٣م ،ج٤/ص٢٤٣٨).

يحاجّ البحتري من أجل إقناع الخصوم أو المتلقين بأحقية الممدوح للخلافة بوصفها القضية العامة للنص أو الكبرى، من خلال إثبات له صفة الوقار بوصفها قضية صغرى، فقدم لمتلقيه الخبر دون مؤكدات، عندما أخبرعنه بأنه حدث، **إذ يقتضي هذا اللفظ أن الممدوح حديث السن، أو أنه حديث العهد بالخلافة، كما يقتضي وجود اعتراض ضمني؛ فدلالة الحداثة للخليفة بكلا المعنيين تتعارض مع متطلبات الخلافة، ومن الطبيعي أن يكون لهذا الموقف معارضون، وكأن لسان حالهم، يقول: كيف يحكمنا من لم تكن له تجارب في الحياة يستقي منها الحِكمة؟** وبالتالي عمل الشاعرموقفا دفاعيا على هذا الافتراض المسبق، والقول المضمر الذي حدده مقام التواصل، فـ"كل فعل إقناعي يرتبط بافتراض مسبق، وقول مضمر، يحدده مقام التواصل والتبليغ" **(بو خشة، ٢٠٢٠م ، ص١٧٢)**، بقوله: (يوقره الحجى)، ما يفهم ضمنا: (أنه عندما يوقر أهل الحجى هذا الفتى يعني أنه أهل للوقار والحكمة، وأن له شأن كبير)، إذن: صدقوا أن الممدوح حكيم وقور، وبالتالي أهل للخلافة، وقد نزّل الشاعر مخاطبه المتردد الشاك منزلة الخالي الذهن، عندما قدم له الخبر دون مؤكدات، مما يوحي للمتلقي بأنه أمر لا ينكره منكر، ولا يرده ذو عقل، مما يبعث في نفوس مخاطبيه اليقين.

إن قارئ الخطاب الحجاجي عند البحتري يلاحظ أنه جعل الغرض الرئيس (المدح) هدفا استيراتيجيا عاما، ولكنه -ومن خلال- هذا الهدف استطاع أن يمرر مقاصده داخل النص، والقصد مرتبط بالمعنى عند الشاعر، والمقاصد التي حاجّ لها البحتري في نصه كثيرة.

_المبحث الثاني: المقاصد الحجاجية لآلية التوكيد

قد يخرج الخبر عن أغراضه الأصلية، **(عتيق، ٢٠٠٩م، ص٥٠)**، أغراض حجاجية تُفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، وقد حدّدت هذه الأغراض في المؤلفات البلاغية القديمة. **(التفتازاني، ١٩٧١م، ص ١٧٩)**.

والمتأمل لخطاب البحتري يلاحظ أن الشاعر وظف آلية الخبر المؤكد لمقاصد حجاجية، ولإثبات قضايا، منها ما يخص صفات ممدوحيه، كأن يثبت لهم حكم (قيمة)، مثل صفة العطاء والجود، والعدل، والأخوة، ومنها ما يخص فعله أو عمله، كأن يثبت له أحقيته لمنصب في الدولة، أو لمدحه في النص، ورغم هذا التصنيف النظري؛ إلا أنه لا يمكننا تصنيفها كل على حدة؛ لأنه يقدم الأولى بوصفها قضايا أولية تؤدي إلى التصديق بالقضية الثانية بوصفها الكبرى، وقد سماها بيرلمان الحجج التي تستدعي القيم، **(الدريدي، ٢٠١١م، ص٢٧٠)**، "فالمحتج لتبرير الآراء وإثبات المواقف يعتمد قيما ينتقيها بدقة بحيث تلائم أهدافه الحجاجية، وغايات خطابه المنشودة، فترى المتكلم يرفض فكرة ما بحجة أنها تعارض قيمة معينة، ويدعو إلى أخرى باسم قيمة ما". **(الدريدي، ٢٠١١ م، ص٢٧٠)**.

وسأعرض من خلال قراءتي للنصوص التالية حجاجية آلية التوكيد، وقياس فاعليتها في الإقناع، وذلك استئناسا بنظرية العدول الكمي التي اعتمدها صولة في كتابه، **(صولة، ٢٠٠٧م، ص٣٧)** من خلال النظر إلى مراعاة حال المخاطبين أو المتلقي المباشر.

١. **إثبات صفة العطاء،** يحاجّ الشاعر ليثبت لممدوحيه صفات تليق بمكانته، ومن أهم هذه الصفات صفة العطاء، إن وصف الممدوح بالعطاء يفترض أنه أمر غير جديد، وليس بحاجة إلى هذه التأكيدات، فيأتي التأكيد دافعا إلى ما يمكن أن يحصل، والموافقة هي بداية تطويع المخاطَب، والتأكيد هو عمل كلامي يجعل الخصم يسير في الاتجاه الذي يرسمه المتكلم، **(صولة، ٢٠٠٧م، ص٢٨٥، ٢٨٦)**، كما في نصه الذي مدح به الفتح بن خاقان، في قوله:

_لعَمرُكَ ما الدُنيا بِناقِصَةِ الجَدى إذا بَقِيَ الفَتحُ بنُ خاقانَ وَالقَطرُ [1]

يوجه البحتري خطابه إلى ذوات يتخيلها، ويجعلها تمثل الخصوم والمعارضين، ويحاجّ سامعي نصه بوصفه مصدرا لهذا الخطاب بإخبارهم عن ممدوحه الفتح بن خاقان؛ لإقناعهم بأحقية منصبه، كونه وزيرا، وأهليته بأن يكون ممدوحا في هذه القصيدة، وأنه يحمل من الصفات ماتؤهله لمكانته؛ لينال بنصه رضى قلب ممدوحه فيجزل له العطايا، ودليل اقتناع الممدوح حاصل بتلك العطايا، ولا دليل من النص على أن الممدوح أذعن لهذه الحجج إلا العطايا التي نالها منه، وإن كان في حجاجه عنه دعوة إلى ذلك، **(البحتري، ١٩٦٣م، ص٨٤٣)**، وهنا يمثل البحتري بوصفه شاعرا متوجها بخطابه إلى ممدوحه وسامعيه البنية الفوقية أو الآنية للحجاج، ويتعامل القارئ مع بنية الحجاج التحتية أو المؤجلة من خلال تتبع مجريات نص هذه الأبيات، ومتابعة شاراته الحجاجية، فقد أفاد الخبر بالجملة الاسمية معنى أولي في البيت الأول، وهو إسناد صفة العطاء إلى الممدوح (الفتح بن خاقان)، بوصفه معنى مجردا من التوكيدات، ولكن الشاعر عدل عن الخبر الابتدائي إلى عدة إضافات ذات سمات دلالية، تفيد معاني ضمنية تعطي للمعنى قوة حجاجية، وتفرض على الحوار أن يسير المسار الذي يريده الخطاب كونها أصبحت من المسلمات، "إن التعبير بالجملة الاسمية هو على حد قول بيرلمان وتيتيكا محاولة لجعل ما نقول يقع خارج دورة الزمن، فلا تلابسه ذاتية، ولا يداخله انحياز، فتكون أقوالنا بمنزلة الحقائق والمسلمات". **(صولة، ٢٠٠٧م، ص٤٤٠)**.

ويدرك المتتبع للنص أن الشاعر يحاجّ للقضية الصغرى هي إثبات صفة العطاء، لإثبات القضية الكبرى وهي أحقية الممدوح لمكانته كونه وزير المتوكل، وسيلاحظ القارئ الإضافات التي لها وجود حسي بعد تسطير الخطاب، هذا الوجود الكتابي في النص سيجعل منها شارات أو أمارات لتأكيد معنى حجاجي ما، **(عتيق؛ ٢٠٠٩م، ص٥٨_ صولة، ٢٠٠٧م، ص٢٥٦)**، وعند تحليل القارئ لأسلوب القسم الذي أنجز في هذا البيت، سيلاحظ أن المعنى المقسم عليه وهو: (ما الدُنيا بِناقِصَةِ الجَدى)، هو المقصود أو القضية التي أراد الشاعر أن يحاجّ لها، أو من أجلها وقع هذا الحجاج، وهو: إثبات صفة العطاء للممدوح، ويظهر من السياق أن الملفوظ الذي مر بحالة عدول إلى التوكيد بـ (القسم)؛ أفاد معنى إضافيا، وهو تأكيد للمخاطَب لا المتكلم، **(ابن فارس، ١٩٧٧م، ١٤٦)**، وكأنه يستدعي المتلقي ليحاوره عما يجول في ذهنه، وما هو متوقع أن يجري على لسانه، والمقسم به العَمْرُ بمعنى: الحياة أو البقاء، وبإضافة كاف الخطاب له، وهم الخصوم، فيه معنى حمل هؤلاء الخصوم على الاقتناع أو الإذعان عاطفيا، **ويقتضي الملفوظ** المؤكد قضية مسلم بها يقينا وجود الجدى في الدنيا، وهذه القضية يفهم منها القارئ أمرا مسلما به، وهو أن وجود الجدى في الدنيا سببه القطر، وتعد هذه المسلمات من الحقائق بحسب تصنيف بيرلمان، **(صولة، ٢٠٠٧م، ص٢٤)**، لينطلق منها إلى القضية المشكوك حولها، وهي كمال الجدى من نقصانه، مما يُفهم ضمنا **(بما أن الجود موجود في الدنيا، فإن الشاعر جعل مخاطبيه يسلمون بأن سبب وجود الجدى في الدنيا وجود القطر؛ ليستميلهم للتسليم بأن كمال الجدى ببقاء الفتح، إذ جعل بقاء الفتح سببا لكمال الجدى؛ وبهذا يكون الفتح كريما)**،

فالشاعر افترض بادئ الأمر أن هناك رفض وهناك خصوم، فأراد أن يلغي هذا الاعتراض، وبالتالي سعى بالتوكيد إلى هدم قضية محتملة وهي إنكار الخصوم، وزيادة المؤكدات،[٢]هنا خير دليل على الرد

---

[1] الجدي: العطاء، يغب: يجيء في يوم وينقطع في يوم، الحيا: المطر، المسعر: موقد نار الحرب، الوتر: الثأر أو الظلم فيه، (البحتري، ١٩٦٣م ج٢/ص٨٤٣).

[٢] تأتي جملة جواب القسم مصدرة بإذا الظرفية المحمّلة لمعنى الشرط، تزيد من القوة لهذا الحجاج، فالمعنى المفهوم من هذه الإضافة: لعمرك ما ينقص عطاء إذا بقى الفتح بن خاقان والقطر، وسيصل إلى القارئ معنى المبالغة عندما نفى عن الدنيا

لأي نفي محتمل، وإن كان هذا الخبر قد وُجِّه إلى خالي الذهن، فإنه يكون قد نزّله منزلة المنكر، ليلغي أي اعتراض في نفسه، ثم لا يجعل لديه فرصة لأن يشك، وبالتالي ينقلنا هذا الفهم إلى المفهوم اللاقولي أو العملي إلى نتيجة عملية، إذن: سلموا أن عطاء الفتح ليس بالعطاء العادي، وأنه جواد كريم، فالعطاء ثابت في القطر، ولكنه ناقص بدون الفتح.

والمتأمل لباقي الأبيات يدرك أنها حجج ومعطيات لدعم هذه النتيجة، وكلها تقود إلى النتيجة الكبرى، أنه من يمتلك هذه الصفات يكن جديرا بهذا المنصب.

٢. **تأكيد أحقية الممدوح بالخلافة**، يتوازن خطاب البحتري مع حالة مخاطبيه بحسب ما يفرضه مقام التخاطب، **(السكاكي، ١٩٨٧م، ص٢١٥)**، إذ يحاجّ الشاعر في خطابه بآلية الخبر المؤكد قصد إثبات أحقية ممدوحيه (الخلفاء) بالخلافة، كما يفعل في هذا النص، إذ يسوق الحجج؛ ليؤكد أمرا قد ينكره الخصوم للخليفة المتوكل، كما في قوله:

-إنَّ الرَعِـيَّة لَم تَـزَل فـي سـيـرَةٍ عُـمَـرِيَّةٍ مُـذ سـاسَهـا المُـتَـوَكِّلُ

اللهُ آثَــرَ بِــالخِـلافَـةِ جَـعـفَـرًا وَرَآهُ نــاصِــرُهــا الَّذي لا يُــخــذَلُ

هيَ أَفـضَـلُ الرُتَـبِ الَّتـي جُـعِلَت لَهُ دونَ البَـرِيَّةِ وَهـوَ مِـنــهـا أَفضَـلُ

(البحتري، ١٩٦٣م، ص ١٦٠٠، ١٦٠١)

يُخضِع البحتري العلاقة بين الممدوح وخصومه لمقاييس العلاقات الطبيعية الأخرى، وما يكون فيها من اضطراب أو رضى وعدم رضى، لتكون قضية يستطيع أن يحاجّ لها، ويحمل الخصوم على الإذعان والتسليم بها، فيقدم الحجج بوصفها قضايا صغرى؛ لإثبات أن الخليفة عادل، وأن الله آثره، وأنه ملك بعفوه، وأنه قريب العباس، عمّ الرسول _صلى الله علىه وسلم_ ووصيّه؛ ليدحض بها ما يمكن للخصوم أن يدّعوه، وهو: أن الخليفة لا يستحق الخلافة، بوصفها القضية الكبرى.

يحاجّ الشاعر في هذه الأبيات _التي اشتملت على التوكيد: بـ(إن) في البيت الأول، وبقصر الصفة على الموصوف في البيت الثاني، والقصر بضمير الفصل (هي، و هو) في البيت الثالث؛ ليثبت **للممدوح أحقيته بالخلافة**، إذ يفرض ملفوظ النص من التوكيد، أو الخبر المؤكد قضايا واقعة مسلم بها: **(أن الرعية في عدل، وأن الله خص المتوكل بالخلافة، وأن الخلافة هي أفضل الرتب في الدولة)**، ثم ينتقل الشاعر إلى القضية التي يحاجّ لها؛ ليدحض الشكوك حول الممدوح، بأن **(الخليفة هو سبب العدل، وأنه ناصرها، وأنه من أفضل الناس رتبة)**، وبالتالي تؤدي هذه الجمل المؤكدة وظيفة لا تقدمها جملة عارية من التوكيد، **إذ** يُفهم من القول (المعنى الضمني)**: (لو لم يكن الخليفة عادلا ما كانت الرعية في عدل، وبالتالي الرعية قبله لم تكن في عدل، ولذلك الله خصّه بالخلافة؛ لأنه نصرها، وبها صار أفضل من غيره من الخلفاء)**، مما يقودنا إلى العمل الإنجازي ومفاده، **إذن: بايعوا الخليفة، وقدّموا له الولاء والطاعة، فهو يستحق هذه المكانة**، وبهذا يكون البحتري قد وجه خطابه للذات المتلقية نحو هذه الحقيقة؛ ليقيم عليها الحجة ويلزمها بها، وحسب ديكرو فإن العمل الحجاجي يتمثل في أن تفرض على

نقصان الجدى، والمبالغة بمساواة الممدوح بالقطر، بالإضافة إلى المعنى الذي أضافه عطف الممدوح على القطر، فتكون الجملة كالنحو التالي، (ما الدنيا بناقصة العطاء والفتح باقٍ مع القطر)، ومفهومها: أن الدنيا ناقصة العطاء إذا ذهب الفتح وبقي القطر، العطاء ثابت في القطر، ولكنه ناقص بدون الفتح، فجعل عطاء الفتح بن خاقان له خاصة بوصفه مادحه، والقطر لعامة الناس، أي: وكأنه أراد أن يخص نفسه بعطايا، والتوكيد.

المتلقي نمطا من النتائج بوصفها الوجهة الوحيدة، التي يمكن للحوار أن يسير فيها، **(صولة، ٢٠٠٧م، ص ١٤٤)**، إذ عمل التوكيد ب(إن)، وما أضافته (مذ) من تحديد صفة العدل على خلافة المتوكل دون غيره على هدم آراء الخصوم، الذين لم يبايعوا الدولة العباسية، أو المتوكل، ودعتهم للتسليم.

٣. بيان قدر الممدوح، يحاجّ الشاعر في خطابه المدحي؛ ليبيّن للخصوم قدر الممدوح، كما في نصه الذي مدح به محمد بن سعيد الثغري؛ ليقدمه لمتلقي نصه بصفات تجعله يليق بمكانته في قلبه ومنصبه، مستعينا بالجملة الاسمية المؤكدة بـ(إن، ولام الابتداء، والبدل) في قوله:

إنَّ الأَميرَ مُحَمَّدًا لَمُهَذَّبُ ال أَفعالِ في السَرّاءِ وَالضَرّاءِ

مَلِكٌ إذا غَشِيَ السُيُوفَ بِوَجهِهِ غَشِيَ الحِمامُ بِأَنفُسِ الأَعداءِ **(البحتري، ١١٩٦٣م،ص٦).**

يحاجّ الشاعر بآلية التوكيد (إن)، و(لام الابتداء)، مع (البدل)؛ في بيان (أخلاق وشجاعة) الممدوح بوصفهما قضايا صغرى؛ يقتضي ملفوظ النص التسليم بقضية تخص القيمة **(أن كل أمير مهذّب الأفعال)**، وكأن هذا الممدوح صنع أنموذجا للإمارة، ثم ينتقل الشاعر إلى القضية التي يحاجّ لها، **وهي أن ليس كل أمير مهذب الأفعال في السراء والضراء، مما يُفهم ضمنا (أن محمدا مختلف عن غيره من الأمراء؛ لأنه مهذب في السراء والضراء)**، وفي البيت الثاني يقتضي ملفوظ النص التسليم بقضية **(أن كل ملك شجاع)**، لينتقل إلى القضية التي يحاجّ لها **وهي أن ليس كل ملك شجاع بحضوره وهيبته**، مما يُفهم ضمنا **(أن محمدا مختلف عن غيره من الملوك؛ لأن شجاعته بحضوره وهيبته)**، مما يؤدي إلى هدم آراء الخصوم، ويقودهم إلى المفهوم إلى قولي، أو الإنجازي، إذن: **الممدوح عكس ما يظنون، وأنه شخص غير عادي يحمل من الصفات مالا يحمله غيره من الأمراء والملوك**.

٤. **إثبات الأخوة والتقارب**، يعمل الشاعر في هذا النص على تمرير أفكاره بالحجة المؤكدة؛ ليقنع خصوم ممدوحيه، ومتلقي نصه بما يريد، فالحجة برأي بيرلمان هي معنى يمرر ذهنيا قصد معين؛ لإثبات قضية ما أو دحضها، **(الحباشة، ٢٠٠٧م، ص٦٨)**، كما فعل مع ممدوحه عبيد الله بن خرداذبة؛ ليثبت أخوته، في قوله:

ذاكُم أَخٌ أَفتَديهِ إن يُحِسَّ أَسًـــى بِالنَفسِ _ مِمّا تَوَقّـــــاهُ _ وَبِالنَشَبِ

إن كانَ مِن فارِسٍ في بَيتِ سُؤدُدِها وَكُنتُ مِن طَيّئٍ في البَيتِ ذي الحَسَبِ

فَلَم يَضِرنا تَنائي المَنصِبَينِ، وَقَـد رُحنا نَسيبَينِ في خُـلقٍ وَفـي أَدَبِ

إذا تَشاكَلَتِ الأَخلاقُ وَاِقتَرَبَت دَنَت مَسافَةُ بَينَ العَجمِ وَالعَرَبِ[1]

فاجأ الشاعر مخاطبيه بقضية دعاهم للتسليم بها (ذاكم أخ)، إذ قدم لها بمقدمات: **(أخوته مع الممدوح، واحد من طي، والآخر من فارس، وجمعهم بها الأدب)**؛ وحاجّهم بهذه المعاني؛ ليثبت بها ماهوأبعد من الأخوة، وهي آثارها، والتي تتمثل في **(التقارب، والافتداء، والإحساس)، مما يفهم ضمنا (إنما يكون الافتداء للأخ، ولا افتداء من دون أخوة، التقارب والدنو يفضي إلى الأخوة، وإن اختلفت الأعراق والأماكن)**، ويفهم ضمنا من الخبر المؤكد أن هناك من يعترض على نسبة صفة الأخوة للممدوح، بحجة أن الممدوح ليس من عرق المتكلم، وهذا ما أفادته بقية الأبيات، **ليقودنا إلى النتيجة: (إذن: الممدوح أخ يستحق أن يُفتدى)**، والشاعر هنا لا يحاجّ للشخوص وصفاتهم فحسب، وإنما لمعاني

[1] النشب: المال والعقار، (البحتري، ١٩٦٣م، ج١/ص٢٥٣).

قيمية تحمل قضية عامة، بدليل أن الشاعر لا تجمعه قرابة بالممدوح، ومع ذلك فإنه يزوره ويمدحه بعدما خرج من علته، وهذا ما أشار إليه المحقق في تعليقه،**(البحتري، ١٩٦٣م، ٢٥٣)**، وبالتالي يفيد التنكير للفظة الأخ عمومية الأخوة للشاعر ولغيره، أي: لكل العرب، وليخص نفسه بفعل الافتداء، وفيه دعوة لهم لهذا الافتداء.

الخاتمة

من خلال قراءتي لنصوص البحتري المدحية، ومعرفة نظامها الحجاجي فيما يخص التراكيب اللغوية الخبرية وآلية التوكيد بوصفها طاقة حجاجية، من الممكن أن أقيّد النتائج الآتية:
أثبتت الدراسة الآتي:

- أن البحتري استعان بالتوكيد في خطابه بوصفه آلية حجاج تسهم في إثبات الحجج، وتوجيه المتلقي نحو مايريد إثباته من مقاصد متعددة.

- وظّف الشاعرآلية الخبر المؤكد لأغراض حجاجية، منها ما يخص صفات مالممدوح، كأن يثبت لهم حكم (قيمة) مثل: صفة العطاء، والجود والعدل، والعلو، والحكمة.
- كما وُظفت آلية التوكيد في خطابه؛ لبيان قدر الممدوح بين الناس، وأيضا فيما يتعلق بعلاقة الشاعر معهم، لإثبات معاني، منها: الأخوة والصداقة.
- استعان بالمؤكدات؛ ليهدم بها قضايا محتملة ومتوقعة عند الخصوم، ويزيل بها شكوك متلقيه أو معارضي الممدوح عن الصفات التي ادّعاها لهم.

- أنه تعامل مع التوكيد بحسب حاجة ممدوحيه، فأكثر من المؤكدات في المواضع التي يراها تستحق، كأن يثبت لممدوحه قضية عظيمة، كأن يثبت له أحقيته للخلافة.

- استفاد البحتري من دلالة التوكيد على تمكين الأمر في النفس وتقويته؛ ليبني بها أمورا منكرة لدى الخصوم، وما يود حملهم على الاقتناع به ليذعنوا، ويسلموا.

- عدل إلى الأخبار المؤكدة ليدفع المتلقي إلى البعد الدلالي المرتبط بالمعنى الضمني، وعلى القارئ أن يدرك متضمنات القول.

- أن البحتري هو من يمتلك زمام نصه، فنزّل المخاطب المنزلة التي يريدها، وحسب ما يقتضيه السياق.

- أن وجود المؤكدات في النص الحجاجي للبحتري دليل على أنه منخرط في علاقاته مع ممدوحيه شخصيا.

- أفاد توظيف الشاعر لآلية التوكيد في بنيته الخبرية في توجيه الحوار توجيها لا يملك المخاطب له ردا، ليجعل صفات الممدوح وأعماله مقتضى لا جدال فيه، وهذه الوظيفة لا يمكن أن تؤديها الجمل العارية عن التأكيد.

قائمة بالمصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العربية

١. البحتري، أبو عبادة الوليد. (١٩٦٣م).، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣م.

٢. البغدادي، أبو بكر أحمد. (٢٠٠٢ م). تاريخ بغداد، تح: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١.

٣. التفتازني؛ سعد الدين، (١٩٧١م)، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان.

٤. التهانوي؛ محمد على، (١٩٩٦م)، كشاف اصطلاحات الفنون، ط١، مطبعة ناشرون - لبنان. بيروت.

٥. الحباشة، صابر(٢٠٠٨م) التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ط١، دار صفحات – سوريا . دمشق.

٦. الدريدي، سامية. (٢٠١١م). الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط٢. الأردن. الإربد: عالم الكتب الحديث.

٧. السكاكي، يوسف. (١٩٨٧م). مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، ط٢. بيروت. لبنان: دار الكتب العلمية – بيروت. لبنان.

٨. شارودو،باتريك. (٢٠٠٩م). الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المغنى والمبنى. ط١، تر: أحمد الودرني، بيروت. لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.

٩. صحراوي، مسعود. (٢٠٠٥م). التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في الثرات اللساني العربي، ط١. بيروت. لبنان: دار الطليعة .

١٠.صولة، عبد الله، (٢٠٠٧م). الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط٢. بيروت. لبنان: دار الفارابي .

١١.الطبطبائي، طالب سيد هشام. (١٩٩٤م). نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، دط. مطبوعات جامعة الكويت.

١٢.عبدالرحمن، طه. (١٩٩٨م). اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ط١. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

١٣.عتيق، عبد العزيز. (٢٠٠٩م). علم المعاني في البلاغة العربية، ط١. بيروت. لبنان: دار النهضة العربية.

١٤.العسكري، أبو هلال. (١٩٩١م). الفروق في اللغة، ط٧. بيروت: دار الآفاق.

١٥.العزاوي، أبوبكر. (٢٠٠٦م). اللغة والحجاج. ط١. منتديات سور الأزبكية.

١٦. المراغي، أحمد. دت. علوم البلاغة، البيان والمعاني والبيان والبديع، بيروت ، لبنان: دار القلم.

ثانيا: المعاجم والقواميس

١. ابن خلكان، شمس الدين. (١٩٩٤م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ط١، (تح: إحسان عباس).بيروت: دار صادر .

٢. ابن فارس، أبي الحسين أحمد. (١٩٧٧م). الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب، (تح: السيد أحمد صقر). القاهرة: مطبعة عيسى الباقي الحلبي وشركاه.

٣. ابن منظور، جمال الدين. (١٩٩٣م). لسان العرب، ط٣. بيروت: دار صادر.

٤. الفراهيدي، خليل بن أحمد. (٢٠٠٧م). كتاب العين، (تح: المهدي المخزومي)، إبراهيم السامرائي. القاهرة: دار الهلال .

٥. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد يعقوب. (٢٠٠٩م). القاموس المحيط، (تح: محمد نعيم)، بيروت. لبنان: مكتبة التراث بمؤسسة الرسالة.

ثالثا: المراجع المترجمة

١. بلانشيه، فيليب. (٢٠٠٧م). التداولية من أوستن إلى غوفمان. ط١، تر: صابر الحباشة، دار الحوار _ سورية. اللاذقية.

٢. بليت؛ هنريش،(١٩٩٩م)، البلاغة والأسلوبية، تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق - المغرب، دط.

٣. منغنو، دومنيك؛ وشارودو، باتريك. (٢٠٠٨م). معجم تحليل الخطاب، (تر: عبدالقادر المهيري، حمادي صمود). تونس: دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة.

رابعا: مجلات وبحوث علمية

١. أمقران، شعبان. (٢٠١٨م). تقنيات الحجاج في البلاغة الجديدة عند شاييم بيرلمان، مجلة (التعليمية) مجلة دولية أكاديمية محكمة، الجزائر، المجلد الخامس، العدد الخامس عشر.

٢. بو خشة، خديجة. ٢٠٢٠م. تداولية الحذف عند علماء القرآن، **مجلة (لغة – كلام)**، تصدر عن مخبر اللغة والتواصل، المركز الجامعي بغليزان - الجزائر، المجلد السادس، العدد الثاني.

٣. بوزناشة، نور الدين. (٢٠١٥م، ٢٠١٦م) الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، دراسة تقابلية مقارنة، جامعة محمد باغين سطيف٢ – الجزائر.

٤. حسيني، مختار؛ صحراوي، مسعود. (٢٠١٥م). القيم التداولية (أفعال الكلام والحجاج) في الخطاب الشعري، قصيدة "الغاضبون" لنزار القباني أنموذجا، **مجلة الباحث.** جامعة الأغواط – الجزائر. المجلد السابع، العدد السادس عشر.

٥. العبد، محمد. (٢٠٠٢م)، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، **فصول مجلة النقد الأدبي**، علمية محكمة، العدد ٦٠، صيف.

٦. الزماني، كمال. (|٢٠١٨م). الاقتضاء المعجمي وانسجام الخطاب، **مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية**، المجلد الثني، العدد الأول.

٧. فوزية، زياد، (٢٠١٤م). من الفعل الكلامي إلى الفعل الحجاجي. جامعة وهران الجزائر، **مجلة الإشعاع**، المجلد الأول، العدد الثاني.